التحديات الداخلية التي تواجه اللغة العربية في تشاد

د. محمد يوسف محمد

ملخص البحث

مشكلة البحث: تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تبرز مكانة اللغة العربية في تشاد وتبين أهم التحديات الداخلية التي تواجهها، أما منهجية الدراسة فاعتمد البحث على المنهج الوصفي ومنهج دراسة الحالة من خلال تسليط الضوء على التحديات التي تواجه اللغة العربية حالة دولة تشاد.

وقد قُسمت الدراسة الى تمهيد وثلاثة مباحث ثم النتائج والتوصيات: المبحث الاول يتناول: التحديات التي تواجه اللغة العربية من المثقفين بها ممثلة في ضعف أداء بعض المعلمين بالعربية وعدم اهتمام المثقفين بالعربية من ذوي التخصصات الاخرى بها بالإضافة الى أداء وسائل الاعلام المحلية باللغة العربية ثم انهزامية بعض المثقفين بالعربية أمام الفرنسية بإدخال ابناءهم المدارس الفرنسية وسوء إدارة المؤسسات التعليمية العربية والتنافس السلبي بين الجمعيات والروابط والاحزاب الحادبة على الدفاع عن اللغة العربية.

اما المبحث الثاني فخصص للتحديات التي تواجه اللغة العربية والصادرة من المثقفين بالفرنسية والمتمثلة في مواقف مجموعات الضغط أواللوبيات الفرنكوفونية ومحاولة المؤسسات الكنسية إبعاد اللغات المحلية عن العربية بكتابتها بالحروف اللاتينية

وقد أسلمني المبحث الثاني الى الثالث: الذي افردته للتحديات الخاصة بالدولة التشادية مثل مضايقة واعتقال المثقفين بالعربية، وعدم اهتمام الدولة بالتخطيط السليم وفقاً لمتطلبات المجتمع، إضافة الى معاناة المثقفين بالعربية في الوظيفة العامة وعدم اشتراط إجادة اللغة العربية في وظائف القطاعين العام والخاص وقلة المدارس العربية وسُوء بنيتها التحتية، أما مستقبل اللغة العربية في تشاد فالبرغم من هذه التحديات والعقبات إلا أن العربية تمشي بخطى ثابتة وحثيثة في تشاد.

تمهيد: مكانة اللغة العربية في تشاد

إن الله سبحانه وتعالى جعل اختلاف الالسن واللغات آية من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم حكمته، ومن هذه اللغات اللغة العربية وهي من اللغات العريقة والواسعة وقد اصطفى الله هذه اللغة واختارها لكلامه سبحانه فأضحت اللغة العربية لغة القراءن والاسلام لا لغة العرب فحسب ... وجعل الله لها خصائص عظيمة ومميزات كريمة وشمائل عميمة، فبذلك عظم حب الناس لها فاقبلوا على تعلمها، وتفانيهم في التخاطب بها وتعاقبهم في خدمتها وتفضيلهم اياها على سائر اللغات.

والمجتمع التشادي مجتمع متعدد اللهجات شأنه في ذلك شأن معظم الدول الافريقية، ولكن يمكن القول من الناحية الواقعية بأن معظم التشاديين يتحدثون العربية، فاللغة العربية تعتبر اللغة المحلية الوحيدة المنتشرة في جميع انحاء البلاد، وهي اللغة الوطنية الوحيدة المكتوبة التي عرفها التشاديون منذ أكثر من ألف عام، فضلا عن أنها لغة الدين الاسلامي الذي يدين به غالبية التشاديين، وقد كانت لغة الممالك التشادية في العصورالوسطى١ . حتى مجيء الاستعمار في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين..

ولا شك أن الذي عنده شيء من المعرفة باللغة العربية وأسرارِها يعلم دقة هذه اللغة العظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية وقدرتها الهائلة على توليد المعاني وعلى التوسع فيها وتفوقها الفني حتى تصل الى درجة الاعجاز.

وللغة العربية مكانة سامية ومنزلة رفيعة في نفوس . قطاع عريض من التشاديين . المحبين لها الغيورين عليها والعارفين قدرها ومكانتها ذلك لأنها لغة القرءان الكريم ٢ ليس هذا فحسب وإنما الخيار الشعبي والوطني . لقاعدة عريضة من الشعب التشادي . وهي الوسيلة التي تربط فيما بينهم جميعاً وأية محاولة لفصل هذه اللغة عن الشعب التشادي فهي محاولة تهدف الى فصل كيان المجتمع

التشادي عن ذاته وهُويته، لذا فإن اللغة العربية أمام تحديات حقيقية صادرة من قبل ابناءها أولاً، والسلطة الرسمية أو الدولة ثانياً، والمثقفين بالفرنسين ثالثاً، وهذا ما تحاول الورقة نفض الغبار عنه باستخدام المنهج الوصفي.

اما مشكلة البحث فتتمثل في معرفة التحديات الداخلية التي تواجه اللغة العربية في تشاد، وبالتالي الخروج بنتائج وتوصيات تسهم في التطبيق الفعلي للغة العربية في جمهورية تشاد التي تعتبر جسراً يربط بين افريقيا والعالم العربي، فتشاد تقع في قلب افريقيا إذا نجحت مساعي تطبيق اللغة العربية فيها واتت أُكلها ستحذو حذوها النيجر ومالي والسنغال والكمرون وافريقيا الوسطى ونجيريا وبالتالي سوف تمتد الموجه عبر الزمن الى كل افريقيا.

المبحث الاول: التحديات التي تواجه اللغة العربية من المثقفين بها

١- ضعف أداء بعض المعلمين بالعربية:
إن كثيراً من معلمي الأساس هم من المعلمين الأقل كفاءة، وهي سياسة قد تكون غير حكيمة، فالدفع بمعلمين غير أكْفاء أو من قليلي الخبرة أو من أصحاب المؤهلات البسيطة لتدريس المرحلة الابتدائية في حين أن المرحلة الابتدائية من أهم المراحل وأخطرها فهي مرحلة البناء والتأسيس وتحتاج لخبرات عالية وكفاءات تدريسية متميزة تستطيع أن تتعامل مع الطفل وتركز على الجوانب القرائية والكتابية وفق أُسس علمية صحيحة وتشجعه على العلم والمعرفة بل وتعْرِف كيف تُشبع حاجات الطفل وتنمي قدراته وتهيئته نفسياً من جهة ثم تزويده بالعلم والمعرفة وطرق التفكير الصحيح من جهة ثانية فيكتمل بناءه نفسياً وعلمياً ويقترن تحصيله العلمي مع الكفاءة العالية ٣ ومما يذكر يجدر ذكره في هذا الصدد سوء خط المعلمين فالكثير منهم خطهم سيء وهذا نتيجة لأداء من علموهم في المدارس، فإهمال دروس الخط والإملاء والتعبير من قبل معلمي اللغة العربية لاسيما في المرحلتين الأساسية والثانوية، وتحويل هذه الدروس الى دروس عابرة أو حصص ترفيهية يُكلَّف فيها التلميذ بالكتابة أو التعبير كيفما يشاء دون تقييم تربوي بالتصحيح والمتابعة والإرشاد والتوجيه، فهي الحقيقة دروس مهمة تسهم في تنمية القدرات اللغوية والكتابية والجمالية لدى المتعلمين، وبدون الاهتمام بهذه الفروع نجعل التلميذ يتخرج من الثانوية العامة وهو يعاني من رداءة في الخط وضَعف في الإملاء وغير قادر على التعبير كتابة أو التحدث شفاهة بلغة سليمة وفصيحة، وان عبَّر جاء تعبيره الشفهي أو الكتابي ضحلاً ركيكاً مفككاً مضطرباَ يدل على ضعف واضح وافتقار للقدرة على التركيب الصحيح ناهيك عن التعبير الجمالي الفصيح ٤

وهذا قد يكون نتيجة طبيعية لفتح أبواب معاهد المعلمين وأقسام اللغة العربية في التعليم العالي للجميع - في تشاد - دون تقييم علمي صارم الأمر الذي جعل نصيبها من الطلاب هم: المتردية والنطيحة وما أكل السبع! وهنا تبقى اللغة العربية بحكم السياسة الخاطئة في القبول مهددة بمزيد من التدهور والضعف لاسيما أن مخرجات اقسام اللغة العربية من هذه العينة ممن سيتولون مهمة تربية الاجيال وتعليمهم، لذا تكون هذه المؤسسات قد أسهمت من حيث تدري أو لا تدري في مضاعفة الأزمة التي تعانيها اللغة العربية في واقعنا - التشادي - اليوم٥ لذا فان بعض المعلمين في التعليم الاساسي والثانوي بل حتى في العالي للأسف الشديد يعانون من ضعف في قدراتهم ومهاراتهم اللغوية، وبالتالي يحشون الدروس والمحاضرات بجُرعات من العامية مما أدى الى إهمال الطلاب للغة العربية الفصحى بسبب الاهتمام بالحصول على الشهادة دون تحصيل علمي.٦

٢- عدم اهتمام المثقفين بالعربية من ذوي التخصصات الاخرى بها:
لا يهتم المثقفين بالعربية من ذوي التخصصات الاخرى بها وكأنها ليست بذات أهمية ولا تمُت اليهم بصلة وأنهم بعيدين عنها ومستغنين عنها بما لديهم من علوم وليسوا مكلفين بإتقانها أو تطبيقها في حياتهم العلمية ولا العملية ناسين أو متناسين أن اللغة العربية لا يستغني عنها باحث نابه مهما كان تخصصه بعيداً عنها، لأنها وعاء لعلمه وفكره وثقافته فهي لغة بحثه العلمي وأداته ووسيلته التي يعتمد عليها إذ لا يتم عمله بصورة كاملة إلا بسلامة لغته وسلامة أُسلوبه ودقة تعبيره في عرض

موضوعه ووصف نتائجه التي توصل اليها٧ لذا كثرت في هذا العصر الاخطاء في اللغة العربية نطقاً وكتابةً ٨.

٣- أداء وسائل الاعلام المحلية باللغة العربية: معظم وسائل الاعلام المسموعة والمرئية تستخدم لغة ضعيفة تخلط بين اللغة العربية السليمة والعامية وبعض المفردات الفرنسية، وهذا تشويه واعتداء على اللغة العربية ويعد خروجاً صريحاً عليها من قبل بعض المذيعين ومقدمي البرامج والضيوف، وهذا عاقبته إذلال العربية وإهانتها وتركيعها أمام العامية أوالفرنسية في سبيل تحقيق مكاسب محدودة مقارنة بالخسائر الضخمة التى تلحق باللغة العربية ٩ ولذا فان بعض البرامج في وسائل إعلامنا أسهمت إسهاماً فاعلاً في تدهور اللغة العربية بدل أن تقوم بدور ريادي بوصفها منبراً للفكر والثقافة فبعض المؤسسات الإعلامية لم تحرص على حسن الاختيار من أجل تقديم مادة ثقافية تربوية ترفيهية بلغة عربية فصيحة فيها من الجزالة والرصانة والبساطة ما يسهم في تعميق أثرها في نفوس جيل الشباب ويقوي صلتهم بها، لكن في الحقيقة نجد الهوة تتسع بين ـ الجيل الجديد للمثقفين بالعربية ولغتهم، وتكرس ـ بعض الاذاعات المحلية ـ العزلة بينها وبينهم بما تقدمه من مواد ساذجة بلغة دارجة مبتذلة على ألسنة إعلاميين يفتقرون لأدنى معرفة بأصول اللغة العربية وقواعدها١٠ ولم يقتصر الامر عند هذا الحد فمنذ اقرار الدستور في عام ١٩٩٦ باستفتاء شعبي١١ لم تساوى اللغتين في ساعات البث في الإذاعة والتلفزيون التشادي ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن الاعلام اليوم أصبح من أهم مؤسسات التشكيل الثقافي للأمم،. بل قديماً قالوا الناس على دين ملوكهم، اما الآن فالناس على دين إعلامهم.

٤ ـ انهزامية بعض المثقفين بالعربية أمام الفرنسية: نجد الكثير من المثقفين بالعربية يزُجوا بأبنائهم في المدارس الفرنسية بدل العربية، والعكس في المثقفين بالفرنسية، إذ من النادر جداً أن تجد مثقفاً بالفرنسية سمح لأبنائه الالتحاق بالمدارس العربية، وهذا ربما من باب المغلوب مُولع بتقليد الغالب، كما قال ابن خلدون، ولا أدري لماذا هذا الإمعان في إهمال التعليم باللغة العربية والمبالغة في الاهتمام باللغة الفرنسية، أنا لست ضد تعلم اللغة الفرنسية وحذقها وإتقانها فان ذلك مما يُضاف الى شخصية المتعلم من محاسن ولكن ليس على حساب اللغة العربية بإهمالها وانتقاصها واعتبارها لغة من الدرجة الثانية ١٢ ـ وبعضهم ممن أتيحت لهم الفرصة لتبوئ مناصب قيادية فإن وجودهم غير فاعل بعدم تبنيهم تفعيل تطبيق اللغة العربية في مجال عملهم أو أضعف الايمان العمل بها بجانب الفرنسية.

ومن مظاهر الانهزامية شيوع المفردات الفرنسية لدى المتحدثين بالعربية من سكان المدن: ويتجلى ذلك في التعامل اليومي علي نحو ما نسمعه في الشارع والبيت مثل: مير بدلاً من الأم، وانكل بدلاً من العم، وتانت بدلاً من الخالة، وميرسي بدلاً من شكراً، وتاكسي بدلاً من سيارة أجرة، وإسكيز بدلاً من عفواً، وبنجور وبون سوار بدلاً من صباح الخير ومساء الخير، وتيلفون بدلاً من هاتف، وتصوير بدلاً من فتكوبي، وبيك وكايي وأردواز بدلاً من قلم وكراس ولوح؛ والكلمتين الأخيرتين نجدهما شائعتين للأسف الشديد حتى داخل المدارس العربية وهكذا تنسحب المسالة على لغة الحياة اليومية وكأن اللغة العربية قد عجزت عن أن تلبي حاجاتهم في هذا المجال أو كأنها قد ضاقت فيها الألفاظ وعُدمت فيها الأسماء حتى يذهبون للاستعانة ـ بالفرنسية ـ دونما اضطرار الى ذلك في الغالب ١٣

ولعل خير ما أختتم به هذه الفقرة تلك الصرخة المدوية التي نادى بها شاعر النيل حافظ إبراهيم على لسان العربية يستصرخ أهلها ويستغيث بهم قائلاً:

رجعتُ لنفسي فاتَّهمتُ حصاتي
وناديتُ قومي فاحتَسبتُ حياتي
رموني بعقم في الشبابِ وليتَني
عقمتُ فلم أجزعْ لقولِ عُداتي
وَلدتُ ولمَّا لم أجدْ لعرائسي
رجالاً وأكفاءً وأَدْتُ بناتي
أيهجرني قومي عفا الله عنهمُ
إلى لغة لم تَتَّصلْ برُواةِ
وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً
وما ضقْتُ عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلةٍ
وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتِ
أنا البحرُ في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغوَّاص عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
وفيكُمْ وإنْ عزَّ الدواءُ أُساتي
فلا تكلوني للزَّمانِ فإنَّني
أخافُ عليكم أن تَحينَ وفاتي١٤

٥ـ سوء إدارة المؤسسات التعليمية العربية:

تعاني المدارس العربية من غياب الإدارة المدرسية الكُفءة التي تضمن حسن الاتصال وفاعليته كما تضمن حسن التنظيم والتنسيق والإشراف والمراقبة، وغني عن القول إن كثيراً من مدراء المدارس العربية غير مؤهلين لقيادتها، ولا يَقبلون التنازل لمن هو جدير بقيادتها، وقد ترتب على سوء الإدارة نتائج كثيرة أهمها:

ـ غياب الانضباط داخل المدرس؛
ـ تغليب المصلحة الشخصية على العامة؛
ـ تسيُّب الطلاب وانتقالهم بين المدارس، وقفزهم من فصل الى اخر دون ضوابط١٥؛
ـ مزاولة أكثر من مهنة على حساب العمل الأساسي الذي يتقاضى بسببه الأجر نهاية كل شهر؛
ـ المجاملة في التقييم؛
ـ عدم الالتزام بنقليات الوزارة؛

كما انتشرت الرشوة في بعض مؤسسات التعليم العربي. فمنهم من جعل النجاح في الامتحانات وتحرير الشهادات والبطاقات عملية بيع وشراء ومنهم من جعل المؤسسات التعليمية مجالاً للثراء السريع فمثل هذه النماذج بحاجة الى إعداد خلقي قبل تكليفهم بإعداد أجيال المستقبل او استئصالهم من منظومة التعليم العربي الذي يختلف عن التعليم الفرنسي في المُثل والقيم النبيلة١٦ ـ كل ذلك عكس صورة سلبية عن المثقف بالعربية قوامها التسيب وعدم الالتزام والعنف أو الظهور بمظهر غير لائق ومما يجدر ذكره في هذا الصدد سوء استخدام الدعم المادي المقدم من قبل الدول العربية والهيئات والمنظمات الخيرية الاقليمية والدولية من قبل بعض القائمين على أمر مؤسسات التعليم العربي ومراكزه البحثية.

٦ـ التنافس السلبي بين الجمعيات والروابط والاحزاب الحادبة على الدفاع عن اللغة العربية، فبدلا من التنسيق والعمل معا، أصبحوا غرماء كل واحد يعمل بمفرده مما يضر بالمثقفين باللغة العربية ويظهرهم بمظهر ضعيف، يقول الشاعر:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا احادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا افترقن تكسرت افرادا

إضافة الى أن الاهتمام بتطبيق اللغة العربية – في تشاد – ربما يعكس خطورة الوضع الذي وصلت اليه لغة الضاد في هذا العصر ويعبر عن الشعور الذي أخذ يتنامى لدى المثقفين بها بأنها رمز السيادة والتميز وهي الحصن الحصين ضد الذوبان والتلاشي وفقدان الهوية الحضارية لغالبية الشعب التشادي١٧.

المبحث الثاني: التحديات التي تواجه اللغة العربية من المثقفين بالفرنسية

أـ مواقف مجموعات الضغط أو اللوبيات الفرنكوفونية

إن النافذين من مجموعات الضغط الفرنكوفونية في وزارتي التعليم العالي والتربية الوطنية وضعوا الخطط والاستراتيجيات التي تتوافق مع التوجهات الفرنسية ـ ومصالحهم الذاتية ـ وتتعارض مع تطلعات المثقفين بالعربية الذين هم شبه مهمشين في الادارة العامة مثل قضية حذف معامل التربية الاسلامية من الشهادة الثانوية العربية، ومحاولة تدريس كل المواد العلمية بالفرنسية و ضم جامعة فيصل ـ حرسها الله ـ الى الدولة تمهيدا لفرنستها وتذويبها، كما حصل سابقا للثانوية الفرنسية العربية بأبشة(lyce national Franco arabe d`abeche) ، وبعدها جامعة ادم بَرَكَة بمدينة أبشة أيضاً، وإلزام اساتذة الجامعات المثقفين بالعربية الراغبين في الترقيات العلمية عبر المجلس الافريقي الملقاشي للتعليم العالي الذي يُعرف اختصاراً بالكاميس (CAMES) بترجمة أبحاثهم الى الفرنسية أو الانجليزية بدل العربية، وبهذا يُحَوَّل الانتاج العلمي للمثقفين بالعربية في رصيد اللغتين الفرنسية والانجليزية وهذا نوع من أنواع الاستعمار الثقافي عبر إجبار الباحثين بالترجمة أو نشر ابحاثهم بالفرنسية أو الانجليزية مما ينتج عنه إفقار الانتاج العلمي بالعربية! ومن ذلك ومحاولة عدم الاعتراف بثانوية الازهر الشريف، واعاقة الشهادة الثانوية العالمية التي تنظمها جامعة افريقيا العالمية بالتعاون مع منظمة الدعوة الاسلامية وغيرها من التحديات والمضايقات!! فعلى سبيل المثال الكثير من الاميين يتعمدون نسبتهم للعربفون مما يسيء الى المثقفين بالعربية.

ونتج عما سبق تهميش المثقفين بالعربية وهضم حقوقهم أمام مرأى ومسمع الحكومات المتعاقبة، والنظر إليهم بدونية واحتقارهم، ليس هذا فحسب فمن

الفرنكفون من يقلل من شان اللغة العربية كلغة علم ومنهم من لديه عقدة تجاه المثقفين بالعربية، بل عند بعضهم حتى تجاه العرب من التشاديين كاثنية لها كامل الحقوق وعليها جميع الواجبات أسوة ببقية الاثنيات الاخرى، وهذه النظرة اثرت سلباً في مسيرة التعليم العربي بصفة عامة ١٨

ب ـ محاولة المؤسسات الكنسية إبعاد اللغات المحلية عن العربية.

تحاول بعض الجهات بكل السبل القضاء على التقارب اللغوي وذلك بإدخال الحرف اللاتيني بدلاً من الحرف العربي في كتابة اللغات المحلية ١٩ لتكون بعيدة عن العربية وقريبة من الفرنسية، فقد بدأ العمل لكتابة اللغات المحلية بالحرف اللاتيني منذ باكورة السبعينات وبالتحديد عام ١٩٧٢انطلاقاً من مكتبة نادي الشباب الثقافي التابعة للكنيسة الكاثوليكية ثم تبَني العمل المركز من أجل التدريب والتنمية (CEFOD) إلى أن خرج على شكل قاموس في ١٦٤٠صفحة يحوي أكثر من١٥٠٠٠كلمة، أَنجز هذا العمل باتريس جيليين (PATRICE JULLIEN) والسؤال الذي يطرح نفسه! ما الهدف من وراء إحياء أو تبني هذه اللهجات المحلية؟

وللإجابة نقول: إن هناك أمرين يتحققان من وراء ذلك:

أولاً: جعل هذا النشاط بين أيدي المنصرين لصلته بأهدافهم.

ثانيا: العمل على قطع حاضر التشاديين ومستقبلهم بماضيهم ...فعلى سبيل المثال يهدفون ليصبح القرءان كتاب دين فقط لا صلة له بحياة التشاديين؛ بحيث إذا قرأه التشاديون لا يفهمونه ثم يضيع نهائيا من قلوبهم ولكن هيهات هيهات أن يحدث ذلك٢٠! لأن الحرف المكتوب من أقوى وسائل الارتباط الفكري والحضاري بين الأجيال وعندما يتم القضاء على الخط تنقطع اقوى الاواصر، واكثرها متانة وفاعلية في ربط الحاضر بالماضي٢١

- تشجيع اللهجات المحلية والعمل على كتابتها بالحرف اللاتيني وتطويرها وبالتالي جعلها قريبة من الفرنسية، للتضييق على اللغة العربية؛

المبحث الثالث: التحديات الخاصة بالدولة التشادية

١ـ مضايقة واعتقال المثقفين بالعربية: ففي عهد الاستعمار أعدم أكثر من ٤٠٠ عالم في مدينة أبشي عام ١٩١٧٢٢، وبعد الاستقلال استمرت مضايقات المثقفين بالعربية منها النفي كما حصل للشيخين الجليلين عليش محمد عووضه ومحمد المهدي كما أعتقل الإمام محمد بدوي عووضة، والاستاذ عبد المحمود والأستاذ هشام جبل، والشيخ موسى اسحاق شعيب عدة مرات! والاستاذ صالح عامر وغيرهم٢٣

٢ـ عدم اهتمام الدولة بالتخطيط السليم وفقاً لمتطلبات المجتمع: حيث تتكاثر أعداد الخريجين في بعض التخصصات وتكاد تنعدم في تخصصات أُخرى مهمة ومنها عدم توفير الدولة مدارس ومرافق للثقافة العربية في كثير من المدن والقرى والبوادي بالبلاد ٢٤

٣ـ معاناة المثقفين بالعربية في الوظيفة العامة: ليس خاف على الجميع ما يعانيه الخريجون باللغة العربية في الإدارات الحكومية وبالأخص وزارة الوظيفة العامة عند تقديم ملفاتهم للتوظيف أو الترقيات من تعقيد إداري وطلب ترجمة الشهادات ومعادلتها على النمط الإداري الفرنسي لكي يتسنى لهم الالتحاق ـ بالوظيفة العامة ـ دون مراعاة لنص الدستور الذي كفل لهم حقهم باعتبار اللغة العربية مساوية للفرنسية، ونتيجة لهذه التعقيدات الإدارية التي يواجهها الخريجون في بداية حياتهم العملية يصاب البعض بإحباط شديد لاكتشافهم بان تلك المساواة إنما هي حبر على ورق ولا وجود لها في أرض الواقع، فيلجأ بعضهم الى تعلم اللغة الفرنسية ومحاولة الاندماج في الوسط الجديد مما ينتج عنه ذوبانهم ثقافياً تدريجياً إذا لم يكن الواحد منهم محصناً فكرياً بصورة جيدة، وإلا سيؤدي الى صراع بين هاتين الثقافتين في داخل الفرد وبالتالي اضطرابات يفقد معها التوازن والإيمان بمقدرته وإمكاناته، كما يلجأ بعض المثقفين بالعربية الذين ليس لديهم أيمان كاف بقضيتهم، يلجأؤن الى جسر بعض الكلمات الفرنسية أثناء حديثهم للدلالة على معرفتهم باللغة الفرنسية ـ كما اسلفنا ـ ٢٥

٤ـ عدم اشتراط إجادة اللغة العربية في وظائف القطاعين العام والخاص: فمعظم الوظائف في القطاع الحكومي

والخاص لا يشترطون فيها إجادة اللغة العربية كأحد شروط القبول فالغالب والأعم يطلبون الفرنسية بجانب الانجليزية أو العربية العامية ـ في دولة تعتبرالعربية اللغة الرسمي بجانب الفرنسية. وهذا حقيقة يُكرس النظرة الدونية للعربية وبالتالي يسهم في تدهورها والانتقاص منها مما يقلل من أهميتها في نفوس المتعلمين من أبناءها في نظر المجتمع ككل ولا شك في أن هذا الاجراء الخاطئ والتصرف المشين في حق اللغة العربية يوعز للمتعلمين ويوحي لهم بأن اللغة العربية لا قيمة لها بل ويرسخ في قناعاتهم أنها لا تقدم فائدة ولا تضيف أي ميزة لصاحبها فيهجرها ويتخلى عنها ومن هنا تتسع دائرة إهمال اللغة العربية وتزداد القطيعة بينها وبين أبنائها٢٦. ومن ذلك عدم تكلم وُلاة الامور باللغة العربية في خطاباتهم ومجالسهم ـ الا نادرا. وهذا سبباً لموت اللغة العربية عند رجال الدولة وفي أجهزتها٢٧

٥- قلة المدارس العربية وسوء بنيتها التحتية: إذا قارنا المدارس العربية بغيرها من المدارس الفرنسية نجدها قليلة على الرغم من الاحتياج الشديد إليها في الأوساط المحلية، فعلى سبيل المثال لا الحصر تم بناء تسع مدارس نموذجية بالعاصمة انجمينا عام ٢٠٠٩م ولم تخصص واحدة منها للتعليم العربي إضافة الى ذلك سوء التخطيط في اختيار مواقع المدارس العربية الاهلية، فنجد المدرسة إما داخل مسجد في مساحة ضيقة أو أكثر من مدرسة في مربع واحد بل أحيانا تجد مدرستان عربيتان متقابلتان فعلى سبيل المثال: ثانوية مسجد النورالحرازاية، والمركز الاسلامي للقوني دريدمة في انجمينا، ومدرسة النهضة العربية والأزهر بمدينة سار متقابلتان، يُضاف الى ذلك أن معظمها بجانب المساجد ويتقاسم طلابها مع المصلين ساحة المسجد وهم بذلك يحرمون بعضهم من مزاولة بعض الانشطة التعليمية الثقافية والرياضية إما لضيق المكان أو بسبب حرمة المكان.٢٨ ـ ومع ذلك رسومها غالية أما المدارس الفرنسية فمتوفرة وشبه مجانية لأن التلميذ يدفع بضع مئات فقط أما المدارس العربية فلا توجد وإن وجدت فرسومها عالية لأنها اسست بجهود ذاتية.

وبصفة عامة فإن الدولة هي المسؤلة عن المحافظة على الثوابت الوطنية وفي مقدمتها اللغة العربية التي تمثل الهوية التشادية، حيث يقع على الدولة التخطيط وسن القوانين والتشريعات وإصدار القرارات ليس هذا فحسب وإنما التطبيق الفعلي للغة العربية في جميع مؤسسات الدولة٢٩

لكن الواقع يوكد أن الحكومات المتعاقبة غير جادة في تطبيقها من جهة ومن جهة أخرى مواقف بعض المثقفين بالفرنسية الذين يحاولون إطفاء نورها على الرغم من أنها منتشرة انتشاراً واسعاً ليس من خلال الفرض أو الحماية العسكرية والتهديد! ولكنها منتشرة من خلال الإيمان بإرث وواقع وقيم هذا المجتمع٣٠ ـ التشادي النبيل.

مستقبل اللغة العربية في تشاد

مستقبل اللغة العربية في تشاد نستشهد بقول السفير الامريكي الأسبق في تشاد كريستوفر سُئل عن انطباعاته فقال: ... إن مستقبل تشاد سوف يعود الى الدارسين بالعربية، وبرر ذلك بأن التعليم العربي بدأ من الصفر، ولا التلاميذ ولا آباءهم يتعشمون أن يمتحنون الشهادة الابتدائية فامتحنوها ثم الإعدادية وهكذا الى أن وصلوا الى الدكتوراه، وكل هذه المراحل قطعوها بجهود ذاتية، ونظام تعاليمي نشأ هكذا ووصل الى هذه الدرجة فان نجاحه مضمون!

المبرر الثاني: إن منهج المدارس العربية حُر أي يدرسون أي شيء استحسنوه.

المبرر الثالث: أن العربفون أكثر وطنية من الفرنكفون، وقد أكد هذه المقولة رئيس الجمهورية الحالي ادريس ديبي.

كما قال المستشار الخاص للرئيس الفرنسي الأسبق، شارل ديقول: عندما طرح سؤالا في قمة فرنسا وافريقيا للرئيس التشادي الأسبق تومبل باي: في جلسة استراحة، فقال للرئيس التشادي هل عادت اللغة العربية الى تشاد؟ فاستغرب وقال له، وهل لها من عودة؟ فرد المستشار بنعم! فسئله متى؟ فقال المستشار بعد ستين عاماً، لذا بمجرد أن عاد تومبل باي الى تشاد أرسل أبناءه الى مصر ولبنان لذلك نجد الابن الاكبر للرئيس التشادي سالومون تومبل باي (SALOMON TOMBAL BAYE) يجيد اللغة العربية ٣١

كما دعم رأي المستشار السيد عيدي عكاري: وهو فرنسي من أصل أفغاني وأم لبنانية، مسيحي كان يجيد العربية والفرنسية والانجليزية، وهو أول مدير للتعليم العربي في تشاد ١٩٦١-١٩٦٣ وهو الذي حذف التربية الإسلامية من المقرر التشادي، وبتوصية من هذا الرجل ايضا بعث تومبل باي وبعض أقاربه إلى لبنان لتعلم اللغة العربية والفرنسية٣٢

النتائج والتوصيات

- إن التحديات الداخلية التي تعاني منها العربية لا تقل خطورة من التحديات الخارجية.
- إن النقد الذاتي والمراجعة المستمرة لواقع الحال وتصحيح الأخطاء وتلافي السلبيات قدر الإمكان من أفضل سبل تصحيح المسار.
- تكريس الاهتمام باللغة العربية في مختلف الوزارات والمؤسسات الحكومية والإعلامية والثقافية والعلمية والحرص على تمثيلها كتابةً وشفاهةً في الخطابات الرسمية والمحاضرات والاحتفالات العامة والخطابات الدينية، وتشجيع ممارستها من قبل القادة والمسؤولين في مختلف مؤسسات الدولة حتى يكونوا قدوة في تطبيق اللغة العربية في لقاءاتهم واجتماعاتهم ومناقشاتهم وخطبهم بحيث تكون اللغة العربية وإجادتها من معايير الكفاءة فضلاً عن إلزام العاملين في المؤسسات الاعلامية بممارسة الفصحى فيما يقدمون من برامج مختلفة.
- الاهتمام بتعلم اللغات الحية وحث وتشجيع الطلاب على تعلمها لأنها اصبحت من ضرورات العصر.

الهوامش والمصادر والمراجع

١. د علي قداي: تباين اللغة العربية بين الشارع والدواوين الرسمية، ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، ط الاولى ٢٠٠٣ منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ص٦٤٣

٢. ا م د / ناهدة محمود محمد: اللغة العربية والتحديات، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية ص١

٣. د طاهر سيف غالب منصور: اللغة العربية بين الواقع والطموح: ص٦،٩

٤. د المرجع نفسه ٧. ٨.

٥. د المرجع نفسه، ص ٨٧.

٦. د صادق عسكري: هل اللغة العربية في خطر، ص٣

٧. د حمد النيل محمد الحسن إبراهيم: التدريب اللغوي (الأخطاء الشائعة والإملاء والترقيم والمهارات اللغوية)، دار جامعة الخرطوم للنشر٢٠١٣م، طبعة جامعة الخرطوم، ص٦

٨. د طاهر سيف غالب منصور: اللغة العربية بين الواقع والطموح، ص١١

٩. المرجع نفسه، ص٩

١٠. د عبد الله بخيت صالح: تاريخ التعليم العربي النظامي في تشاد، ط الاولى، ٢٠١٢بورصة الكتب، الدار الكتب والوثائق المصرية، ص٢٢٨

١١. دستور جمهورية تشاد: الذي تمت الموافقة عليه باستفتاء شعبي نظم يوم٣١مارس١٩٩٦، وقد تم تعديله بقانون دستوري رقم ٨ ر ج، الصادر بتاريخ ١٥ يوليو٢٠٠٥ص٨.

١٢. د طاهر سيف غالب منصور: المرجع نفسه، ص٦،٩

١٣. المرجع نفسه، ص١٢

١٤-د محمد حسان الطيان العربية بين ماض زاهر وحاضر عاثر، بتاريخ، الاثنين، ٢٨ يوليو ٢٠٠٨ ٠٥:٢٨، ص٤-٥. ايضا انظر: الموسوعة العالمية للشعر العربي على الرابط التالي:

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh٣er&doWhat=shqas&qid=١٣٠٨٦

١٥. محمد الامين حسين رماد: انتشار التعليم العربي الاهلي في تشاد: ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، نظمتها جامعة الملك فيصل بتشاد، ط الأولى ٢٠٠٣، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ص ٥٧٣

١٦. د عبد الله بخيت صالح: المرجع نفسه، ص٢٢٨

١٧. هندة عباس الحمادي: الصعوبات التي تواجه اقسام اللغة العربية، ص١-٢

١٨. د عبد الله بخيت صالح: المرجع نفسه، ص ٢٢٥-٢٢٦

١٩. د محمد فرج غنيم: التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الاسلامية العالمية، طرابلس ليبيا ،١٩٩٩، ص ٦٢٠

٢٠. محمد يوسف محمد: مصالح فرنسا في تشاد من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٥، بحث مقدم لنيل درجة دبلوم الدراسات المعمقة، بجامعة الملك فيصل كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة ٢٠٠١-٢٠٠٢، ص٣١- ٣٢.

٢١. ابي نصر محمد بن عبد الله الامام: المؤمرة الغربية على اللغة العربية، اليمن صنعاء، مكتبة الامام الالباني، ط الأولى٢٠٠٩، ص١٥٨

٢٢ . رقية عبد الرحمن عمر الماحي: الثنائية اللغوية في عهد الرئيس ادريس ديبي اتنو (الواقع والمستقبل)، المؤتمر العلمي الدولي عن الديمقراطية والسلام والتنمية في تشاد، في عهد الرئيس ادريس ديبي اتنو، في الفترة ما بين ٢٢٣-٢٥ شوال١٤٣١ هـ الموافق٤.٢ اكتوبر ٢٠١٠، في مدينة انجمينا جمهورية تتشاد، الجزء الاول، ص٢٨٩

٢٣. د عبد الله بخيت صالح: المرجع نفسه، ص٣٢،٢٥

٢٤. د مرتضى الزين محمد: أثر الخريجين التشاديين العائدين من الدول العربية في المجتمع التشادي، ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، ط الاولى ٢٠٠٣ منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ص٦٠٧

٢٥. د علي قداي: المرجع نفسه، ص٦٤٧

٢٦. د طاهر سيف غالب منصور، المرجع نفسه، ص١٠

٢٧. ابي نصر محمد بن عبد الله الامام: المؤمرة الغربية على اللغة العربية، اليمن صنعاء، مكتبة الإمام الالباني، ط الأولى٢٠٠٩، ص١٦١

٢٨. د عبد الله بخيت صالح: المرجع نفسه، ص٥٧٠

٢٩. د صادق عسكري: هل اللغة العربية في خطر، ص٣

٣٠. الطيب ادريس حلولو: اللغة العربية في تشاد بين الرغبة الشعبية والرفض الرسمي ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، ط الاولى ٢٠٠٣ منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ص٦٦٠

٣١.لقاء شفوي مع الاستاذ البرلماني صالح علي مصطفى، في حارة أم رقيبة، بمنزل المستشار، محمد نور الحسن الساعة السادسة وتسع وأربعون دقيقة.

٣٢. د محمد يوسف محمد: تاريخ اللغة العربية في تشاد، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، بدولة الامارات العربية المتحدة، بدبي، في الفترة ما بين٢٧-٣٠ رجب١٤٣٧الموافق٤.٧مايو٢٠١٦، ص ١٧٣-١٧٤، هامش رقم ٩١.